مجلة كلية اللغات

Faculty of Languages Journal

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية اللغات جامعة طرابلس

A Scientific Journal Issued by the Faculty of Languages, University of Tripoli, Libya

JUNE 2023

رقم الإيداع 167/ 2015 دار الكتب الوطنية بنغـازي

ISSN : 2790-4016

التناص القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة

المصري منصور فضل الله المصري/ بسمة محمود صالح محمود
جامعة بنغازي/ كلية الآداب والعلوم الأبيار/ قسم اللغة العربية
almasri.fadelalla@uob.edu.ly

الملخص

تناول البحث التناص القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة، وقد مهّد الباحثان بمدخل نظري تتبعا فيه التناص في منشأه الغربي، وقاربَاهُ بمفاهيم نقديَّة عربيَّة قديمة، مع تعريف المثل الشعبي وبيان خصائصه، وإيضاح الفرق بينه وبين الحكمة، أمّا الجانب التطبيقي فقد اعتمدا فيه على كتاب الأمثال الشعبية الليبية، لرحيل عمر الشلطامي، وربيعة القلال، وقاموس الأمثال الليبيّة لأحمد يوسف عقيلة، مصدرًا للأمثال لاستقصاء التناص القرآني بأنواعه الثلاثة: (الاقتباسي، والإشاري، والأسلوبي).

ABSTRACT

The research dealt with Quranic intertextuality in Libyan popular proverbs, and the two researchers paved the way by presenting the concept of intertextuality in its western origin, and approaching it with ancient Arabic critical concepts, then defining proverbs, explaining the characteristics of popular proverbs, and clarifying the difference between proverbs and wisdom, and as for the applied side, the researchers relied on my book (Libyan proverbs of the departure of Omar al-Shaltami, Rabia Othman al-Qalal, and the dictionary of Libyan proverbs) by the researcher and storyteller Ahmed Youssef Aqila, a source of Libyan popular proverbs in the investigation of Quranic intertextuality in its three types (quotational - alludative - stylistic)

الكلمات المفاتيح: (التناص القرآني – الأمثال الشعبيّة الليبية – المثل الشعبي)

المقدّمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعـــــد...

صدق أبو هلال العسكري في وصف الأمثال بأنّها: "من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله..."[1]، فإنّه ليس أدلّ على أصالة الأمّة، ووعيها، وعمق تجاربها، وحكمتها، وسعة ثقافتها وتنوّعها من أمثالها؛ فهي جِمَاع خبرات أبنائها الخاصّة، والبوتقة التي تنصهر فيها المؤثرات الوافدة، حيث تتكون الأمثال متأثرة بذلك كلّه.

يهدف البحث إلى دراسة التناص القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة؛ رغبة في المساهمة في البحث العلمي الذي يتناول تراثنا الثقافي، وقد اتّبع الباحثان منهجًا وصفيًّا، عبر تتبّع تطوّر مصطلح التناص في منشئه الغربي، ومحاولة مقاربته بمفاهيم نقديّة عربيّة قديمة تقترب من مفهومه، ثمّ تعريف الأمثال الشعبيّة، وبيان خصائصها، والفرق بين المثل والحكمة. بعد ذلك انطلق البحث في جانبه العملي في بيان التناص القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة، تطبيقًا عمليًّا لأنواع التناص القرآني فيها، من خلال استقراء الأمثال الشعبيّة الليبيّة التي وقع فيها التناص القرآني، واختيار نماذج منها لإثبات الظاهرة، اعتمادًا على كتاب (الأمثال الشعبية الليبية) لرحيل عمر الشلطامي، وربيعة عثمان القلال، و(قاموس الأمثال الليبيّة) لأحمد يوسف عقيلة، واختتما البحث بجملة من النتائج، والتوصيات. وبعد... فإنْ أصبنا فمن توفيق الله، وإن أخطأنا فمنّا ومن الشيطان.

الدراسات السابقة:

تحرص العديد من الدول العربيّة على تشجيع الأبحاث التي تتناول تراثها الثقافي؛ ولذلك تزخر مكتباتها بالدراسات التي تناولت أمثالها الشعبيّة من جوانب متعدّدة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- التناص في الأمثال الشعبيّة الجزائرية منطقة الحضنة أنموذجا، رسالة ماجستير، مراد مقران، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013 : 2014.
- التناص الديني في الأمثال الشعبية الإماراتية، دراسة، عبدالحكيم عبدالله الزبيدي، مجلة لغة الثقافات والمجتمعات، المجلد الخامس، الجزء الثاني، ديسمبر 2019م.
- التناص في الأمثال بين اللغة والقرآن دراسة تحليلية تناصية، أزهار علي ياسين، مجلة جامعة ذي قار، العراق، العدد الثاني والعشرين، 2017م.

التناص لغة واصطلاحا:

جاء في اللسان: النصُّ: رفعك الشيء، نصَّ الحديث، ينصُّه نصًّا: رفعه، وكلُّ ما أُظهِرَ، فقد نُصَّ، ونَصَّ المتاع نصًّا: جعل بعضه على بعض، والنصُّ أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها[2].

لقد مرّ مصطلح التناص في منشأه الغربي بمراحل من التطوّر، حيث بدأت الإرهاصات الأولى للمصطلح عند الشكلانيين الروس، دون تحديد دقيق للمصطلح[3]، ثمّ تطوّرت الفكرة على يد (ميخائيل باختين)، لكنّه أيضًا لم يستعمل المصطلح للدلالة على وجود الظاهرة، بل استعمل مصطلح (الإيديولوجيم) للدلالة على مبدأه في الحواريّة[4]، حيث قلب باختين العبارة المشهور (الأسلوب هو الرجل) إلى (الأسلوب هو الرجلان)؛ ليؤكّد على الطابع الحواري بين النصوص، وعلاقة النصّ بغيره من النصوص

السابقة والمعاصرة[5]، بل إنّ باختين ذهب إلى أنّ كلَّ نصٍّ لا بدّ وأنْ يرتبط بغيره من النصوص بوساطة ما سمّاه (علاقة حواريّة)، وأنّه مهما كان موضوع الكلام، فإنّه قد قيل بصورة، أو بأخرى[6].

دخل مصطلح التناص إلى أوروبا الغربيّة على يد (جوليا كريستيفا) منتصف القرن الماضي[7]، إذ يكاد يُجمع النقّاد على أنّ اللفظة من اختراع الباحثة البلغاريّة الأصول، وأنّها أوّل من استعملها في كتاباتها بين عامي (1966 : 1967م) في مقالات نشرتها في مجلّتي (تيل كيل)، و(نقد) وأعادت نشرها في كتابيها (السيمياء)، و(نصّ الرواية)، وفي تقديمها لكتاب (دوستوفيسكي) لباختين، معتمدة أراء باختين، التي صرّحت باستفادتها منها في كتاباتها[8]، وجاء التناص عندها بمثابة حقيقة نصيّة مركزيّة، تتقاطع من خلاله نصوص كثيرة، تتزامن مع النصّ الْمُبْدَع، أو تسبقه؛ لذلك نفت وجود نصٍّ خالٍ من مدخلات نصوص أخرى عليه، تقول كريستيفا: "إنّ كلّ نصٍّ عبارة عن لوحة فسيفسائيّة من الاقتباسات، وكلَّ نصٍّ هو تشرّبٌ، وتحويلٌ لنصوص أخرى"[9]، بل إنّه تعديلٍ لنصوص أخرى[10].

تطوّر المصطلح بعد كريستيفا على يد مجموعة من النقّاد، لعلّ من أبرزهم (رولان بارت) من خلال مقالته التي نشرت عام 1968م، بعنوان (موت المؤلّف)، حيث طوّر مفهوم التناص، داعيًا إلى قراءة جديدة للنصوص الأدبيّة، تعطي أهميّة للقارئ، الذي يعيد إنتاج النصِّ الأدبي في كلِّ قراءة، محتفيًا بالقارئ على حساب المؤلّف، فالتناص عند بارت بمثابة القَدَرِ، مهما كان جنس العمل الأدبي[11].

لقد كانت أراء بارت ممهّدة لظهور نقد جديد يجعل القارئ هو المنتج الحقيقيَّ للنصّ، فالنصّ الأدبيّ كما يصفه بارت "نسيج كامل من الاستشهادات، والمراجع، والأصداء، واللغات الثقافيّة السابقة، أو المعاصرة... التي تتقاطع معه تمامًا من خلال

الأصوات الواسعة، ويجب على التناص- الذي يحكم كلَّ نصٍّ، والذي يكون بين نصّ ونصوص أخرى- أن يتميّز عن أصل النصّ"[12].

بعد بارت جاءت أراء (جيرار جينيت) حول التناص في كتابه (طروس) لِتُطوّرَ المفاهيم السابقة، حيث قدّم ما أسماه (الجامعيّة النصيّة) أو (جامع النصّ)؛ ليربط بين موضوع (الشعريّة)، والتعدّديّة النصيّة، موليًا المصطلح عناية خاصّة، فجعله يتضمّن التداخل النصّي بكلّ مستوياته، سواء كان تداخلاً لغويًّا، أم استشهادات تدخل في ثنايا النصّ[13]، كما ابتكر مصطلحًا تابعًا للتناص سمّاه (التعالي النصّي) وهو "كلّ ما يجعل نصًّا يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر، أو ضمني"[14]؛ وحدّد جينيت أنماطًا خمسة للمتعاليات النصيّة[15]*.

إجمالاً فإنّ التعريفات الغربيّة للتناص تُجمع على أنّه: (فسيفساء من نصوص مختلفة أُدمِجت في نصٍّ جديد بتقنيات مختلفة، بحيث أنّ النصّ الجديد قام بامتصاصها، وجعلها منسجمة مع بنائه، وملبّية لمقاصده، ومتكيّفة معه)[16]؛ أي أنّ التناص هو تعالق نصوصٍ متعدّدة مع نصٍّ حدث بكيفيّات مختلفة.

التناص في النقد العربي القديم والحديث:

لعلّ مفهوم إسناد الحديث ورفعه إلى فلان، هو أقرب الدلالات المُعجميّة العربيّة لمفهوم التناص الغربي، وهو ما ورد في مادة نصص في اللسان، لكنَّ ذلك لا يعني أنّ فكرة وجود نصّ ضمن نصٍّ آخر كانت غائبة عن الناقد العربي، وذلك أنّ الرجوع إلى تراثنا النقدي يحيلنا إلى مفاهيم لامست عتبات الظاهرة في أصلها الغربي، ولكنْ بمصطلحات عربيّة مختلفة، إذ إنّ مصطلحات (التضمين، والاقتباس، والاستشهاد،

والسرقة، والمعارضة، والاحتذاء، والأخذ، والإغارة، والسلب، وغيرها...) تقترب بدرجات متفاوتة من مفهوم التناص، وإنْ كانت النقائض والمعارضات الشعريّة والسرقات أكثر الأبواب التي تتجلّى فيها الظاهرة[17].

لقد تفطّن النقّاد العرب إلى أنّ الشاعر مهما بلغت موهبته لا يخلو من نفحاتِ أشعارٍ لغيره من الشعراء، منها ما هو واضح جليّ، ومنها ما يتطلّب براعة وحصافة للكشف عنه، من ناحية أخرى فإنّ الشعراء أنفسهم أشاروا إلى نفاذ معاني الأوّلين وأفكارهم إلى أشعارهم، وأنّ هذا النفاذ كان له عظيم الأثر في تشكّل نصوصهم، يقول كعب ابن زهير بن أبي سُلمى مقرًا بهذا التداخل[18]:

ما أرانا نقول إلاّ رجيعًا أو معارًا من قولنا مكرورا

وقبله قال امرؤ القيس بن حجر في ذات المعنى[19]:

عُوْجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمَحِيْلِ لعلّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خَذَامِ

وفي العموم لم يتجاوز النقد العربي القديم في تناوله للظاهرة المفاهيم المتّصلة بالسرقة، سواء عند المتقدّمين منهم، أو المتأخرين.

أمّا في النقد العربي الحديث فقد حظي التناص باهتمام بالغ من قبل المشتغلين بالنقد الأدبي، وجرى تطبيقه على العديد من النصوص الأدبيّة الحديثة والقديمة، وتأتي هذه الدراسة ضمن تلك المحاولات للاستفادة من هذا المفهوم، عبر تطبيقه على الأمثال الليبيّة، بغية بيان أثر القرآن الكريم ومعانيه في صوغها.

تعريف الأمثال الشعبيّة في اللغة وفي الاصطلاح:

أوردت كتب المعاجم المعاني المتعدّدة لكلمة (مثل)، ومن تلك المعاني: (الشبه، والنظير، والعبرة، والحُجّة، والصفة)؛ جاء في اللسان: المثل... كلمةُ تَسويةٍ، يُقالُ: هذا مِثْلُهُ، ومَثَلُهُ، بالفتح شِبْهَهُ، وَشَبَهُهُ[20].

كما تنوّعت تعريفات المثل اصطلاحا، فهناك من غلّب الجانب الأدبي على الجوانب الاجتماعيّة، وهناك من ركّز على شكل المثل وأسلوبه، وهنالك من اهتمّ بخاصيّته الجماليّة، وآخرون حاولوا جمع كلّ تلك الجوانب في تعريف واحد، ولعلّ جماع تلك التعريفات هو: "المثل عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلاً ومضمونًا، فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير، متمثّلين بها- غالبًا- في حالات مشابهة لما ضُرب لها المثل أصلاً، وإنْ جُهل الأصل"[21].

ولا تكاد تخرج الأمثال الشعبيّة عن هذا التعريف، فقد عرّفها أحمد أمين، بقوله: "إنّ الأمثال الشعبيّة نوع من أنواع الأدب، يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمّة من الأمم، ومزيّة الأمثال أنّها تنبع من كلّ طبقات الشعب"[22]، فالمثل الشعبي خلاصة تجارب الأمّة، ومحصول خبراتها، وهو ضرب من التعبير عمّا تزخر به من معارف، كما أنّ اتصافه بالإيجاز أكسبه جانبًا جماليًا تفرّد به عن أساليب التعبير الشعبيّة الأخرى، ولأنّ المثل الشعبيّ نتاجٌ جماعي، فقدة تميّز بجماهيريّته.

خصائص الأمثال الشعبيّة:

يعدّ المثل الشعبي من أكثر الأنواع الأدبيّة الشعبيّة انتشارًا، فهو يستعمل على نطاق واسع، وبين فئات مجتمعيّة مختلفة، نظرًا لخصائصه وميزاته التي يتمتّع بها، المتمثّلة في

سهولة لغته وقربها من أفهام العامّة، ومجهوليّة مؤلّفه، فالمثل الشعبي غالبًا نتاج جماعي؛ بالإضافة إلى اشتماله على عنصر الصدق في التعبير، مع الإيجاز وجودة المعنى، كما أنّ التناقل الشفاهي للمثل الشعبيّ أكسبه صفة تربويّة تتجلّى فيها قيم المجتمع، كما يتميّز المثل الشعبي بإصابة المعنى دون زيادة، أو نقصان، مع تميزه بالإيقاع الصوتي[23]، ومن

خصائص المثل الشعبي أيضًا التعبير غير المباشر عن الواقع، من خلال تمثيل الوقائع بالصور، أو القَصص، وهي عمومًا صور وقصص مستمدّة من الواقع[24].

الفرق بين المثل والحكمة:

من المفاهيم التي تتداخل، وتلتبس عند استعمالها مصطلحي الحكمة والمثل، ومن بين أوجه الاختلاف بين المصطلحين ما يأتي[25]:

1. المثل يقوم أساسًا على التشبيه والمقارنة، أمّا الحكمة فتقوم على الحجج والبراهين.
2. ليس للحكمة موردٌ ومَضْرَبٌ، بينما المثل له موردٌ ومضربٌ؛ فموردُ المثل هو القصّة الأصليّة التي قيل فيها، وأمّا المضرب فهو الظرف المشابه لتلك القصّة.
3. المثل مجهول القائل-غالبًا- وانتاجه جماعي، بخلاف الحكمة، التي يكون قائلها معروفًا، فهي تصدر عن شخص يوصف بأنّه حكيم.
4. لأنّ المثل يصدر عن الشعب بطبقاته المختلفة، ولسهولة جريانه على الألسن، ومباشرته، فهو متفق على تداوله، بينما الحكمة قد يتعسّر فهم بعض مراميها على الإنسان العادي؛ لأنّها صادرة عن فئة معيّنة معروفة بثقافتها، ودرايتها بالأمور[26].
5. يستعمل المثل في الحالات المختلفة التي تمرّ في حياة الناس، في الغضب، أو الاستهزاء، أو تصحيح اعوجاج، بينما لا تكون الحكمة إلاّ للتوجيه الأخلاقي.
6. يحمل المثل معنيين، أحدهما ظاهر، والآخر باطن، أمّا المعنى الظاهر فهو حدث من أحداث التاريخ، أو ما شابه، وأمّا المعنى الباطن، فمرجعه إلى الحكمة والإرشاد، في حين تفيد الحكمة معنىً واحدًا فقط، هو الإرشاد.
7. يتّصف أسلوب المثل بالإيجاز عادة، بينما قد تطول الحكمة نسبيًّا.

8. لا يهدف المثل أساسًا إلى التعليم والتوجيه، بقدر ما يهدف إلى تصوير تجربة إنسانيّة عاشها الإنسان بكلّ تفاصيلها، في حين أنّ الحكمة تهدف إلى التعليم.

وفي كلّ الأحوال فإنّ انتشار الأمثال الشعبيّة بين شريحة واسعةٍ من أبناء المجتمع قد أكسبها أهميّة خاصّة في حياة المجتمع ميّزتها عن فنون القول الأخرى، بما تحمله من دلالات عقائديّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، وفكريّة[27]، وعليه يمكن تبيّن دور المثل الشعبي، وأهميّته في النقاط الآتية.

أهميّة الأمثال الشعبيّة:

1. تختزن الأمثال الشعبيّة ثقافة الشعوب وفكرها، وتعبّر عن هُويّتها، فمن خلالها نستطيع التعرّف على العادات والقيم الاجتماعيّة لمجتمع ما[28]؛ لأنّها تعكس عادات أصحابها وتقاليدهم وسلوكيّاتهم، وهي على قلّة لفظها غزيرة المعاني، قادرة على التعبير عن مكنونات الشعوب.

2. يُرسي المثل الشعبيُّ الأعراف والتقاليد، والقيم والمبادئ، فيملي على أفراد المجتمع ما يأخذونه، ويلتزمون به، وينبِّههم إلى ما يجب تركه، والابتعاد عنه، فهو يلعب دور الرقيب، والضابط الاجتماعي، الذي يقوّم السلوك العام، ويردع الخارج عن الجماعة، بوصفه وسيلة تربويّة فيها التذكير، والوعظ، والزجر، والحثُّ، والإرشاد[29].
3. تعدّ الأمثال الشعبيّة من الناحية النفسيّة متنفّسًا عن رغبات الفرد سواء في لحظات الألم، أو حين يجد نفسه محبطًا ويائسًا، فيلجأ إليها؛ لتساعده في إيجاد الحلول للأزمات التي تمرُّ به[30].

4. للمثل الشعبي تأثير قويٌّ على السامعين، يتجلّى في مصادقتهم على صحّته، ومناسبته للمقام الذي قيل فيه، وهذا التأثير هو ما يبرّر منزلة الأمثال الشعبيّة في تكوين الثقافة الشعبيّة.
5. المثل الشعبي يعبّر عن كافّة طبقات المجتمع، ويصوّر المواقف التي يمكن أنّ تمرّ بحياة الإنسان منذ طفولته، وحتّى شيخوخته، ما يجعله سجلاً كاملًا لحياة الناس.
6. الأمثال الشعبيّة تشحذ خيال الفرد، من خلال ما تخلقه لديه من متعة نفسيّة، وفكريّة، وبالتالي فهي تنمّي قدرته على الفهم.
7. الأمثال الشعبيّة صالحة للاستخدام في كافّة المناسبات نظرًا لشعبيّتها؛ لذلك طالما كانت حاضرة في خطب السياسيين، ووعظ الواعظين، بالإضافة إلى حضورها في النصوص الأدبيّة، بما يصبغ تلك النصوص بصبغة واقعيّة تضفيها عليها تلك الأمثال؛ من أجل ذلك دأب الأدباء والخطباء على توظيفها في كتاباتهم وخطبهم.

وخلاصة القول إنّ الأمثال الشعبيّة تكتسب أهميّة بالغة في حياة الفرد، والجماعة، كما أنّها تمثّل فنًّا قوليًّا يتناول كلّ دقائق الحياة، وما يتصل بها من مواقف وتجارب، وتهدف إلى غاية اجتماعيّة نبيلة، هي تعليم الفرد ما يجنّبه الوقوع في الأخطاء، أو يعينه على حلّ الأزمات المتنوّعة.

أنواع التناص القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة:

من خلال استقراء الأمثال الشعبيّة الليبيّة الواردة في الكتابين المرجعيين للدراسة، يمكنُ تحديدُ أنواعٍ ثلاثةٍ للتناص القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة، هي: (التناص الاقتباسي، والتناص الإشاري، والتناص الأسلوبي)، وتحت كلّ نوع منها يمكن إدراج

تفريعات أخرى، وهذا بيان تطبيقي لهذه الأنواع من التناص، مع تعريف كلّ نوع منها.

أوّلاً: التناص الاقتباسي:

"يعدّ الاقتباس آليّة تكثيفيّة (إيجازيّة)، يتمّ من خلالها استحضار نصوص دينيّة معروفة عن طريق المتلقّي... ويتمّ استذكارها كاملة؛ لأنّها معروفة ، وليس هناك أدنى حاجة لذكرها كاملة في النصّ"[31] والتناص الاقتباسي القرآني في الأمثال الشعبيّة الليبيّة، يمكن إرجاعه إلى نظرة التقديس والاحترام للآيات المقتبسة، باعتبارها مرجعيّات موثوقة، لا يمكن التشكيك في صدقها، وتحت هذا النوع يمكن إدراج تفريعين هما:

الاقتباس الكامل:

ويمكن تعريفه بأنّه: "نوع من الاقتباس يقوم على اقتطاع آيةٍ، أو جزء متكامل مستقل منها، ووضعه في سياقه... من دون أن يتصرّف في بنيته الأصليّة بالزيادة، أو النقصان، أو التقديم، أو التأخير"[32]، ومن أمثلة الاقتباس الكامل في الأمثال الشعبيّة الليبيّة قولهم: (واكل ناقة الله وسقياها)[33]، ويتناص هذا المثل تناصًّا كاملاً مع قوله تعالى: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ الشمس، آية ﴿13﴾ ومنه قولهم: (وجهْ (أَلَمْ نَشْرَح))[34]، ويتناص هذا المثل تناصًّا كاملاً مع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَح لَكَ صَدْرَك﴾ الشرح، آية ﴿1﴾ ومثله قولهم: (وجه (عبَس وتولّى))[35]، الذي يتناص مع قوله تعالى: ﴿عبس وتولّى﴾ عبس، آية ﴿1﴾.

الاقتباس الجزئي:

ويعرف بأنّه: "وضع عبارات، أو جمل، أو تراكيب جزئيّة، غيرِ مكتملةٍ في نصٍّ لاحقٍ، مقتطعة من نصٍّ غائبٍ، قائمٍ على أساس بعض المفردات، أو الكلمات، أو أشباه

الجمل، أو الجمل التامة"[36]، وعلى هذا فالاقتباس الجزئي في الأمثال الشعبيّة الليبيّة يقوم على اقتباس عبارات قرآنيّة، ومن أمثلته: (ما قدا الإحسان إلاّ الإحسان)[37]، فهذا المثل يتناص جزئيًّا مع قوله تعالى: ﴿هلْ جزاء الإحسان إلاّ الإحسان﴾ الرحمن، آية ﴿59﴾، ومثله قولهم: (الكذّاب حلاّف)[38]، الذي يتناص جزئيًّا مع قوله تعالى: ﴿ولا تطع كلَّ حلاّفٍ مهين﴾ القلم،آية ﴿10﴾.

ثانيًا: التناص الإشاري:

يقصد بالتناص الإشاري: "أن يستحضر نصًّا أيًّا كان مصدره، أو نوعه، سواءً أكان قصيدة شعريّة، أم نصًّا نثريًّا، أم أسطورة، أم حادثة معيّنة، أم نصًّا من التراث الشعبي، أو الصوفي... عن طريق الإشارة المركّزة، بحيث تغدو هذه الإشارة بمثابة الاستحضار الكامل لتلك النصوص، من دون أن يكون هنالك حضور لفظي كامل، أو محوّر، أو جزئي لها في النصوص اللاحقة"[39]، ويلاحظ أنّه غالبًا ما يعتمد على استحضار لفظة واحدة، أو اثنتين، ويتميّز بالقدرة الكبيرة على التكثيف والإيجاز، مع الدقّة في التعبير، حيث تُغيّر المفردة المستحضرة مشاعر المتلقّي[40]، وبالاستقراء يمكن حصر التناص الإشاري مع القرآن الكريم الوارد في الأمثال الشعبيّة الليبيّة في نوع واحد، وهو أن يشار من خلال كلمة في المثل إلى معنى آية قرآنيّة، ومن أمثلته قولهم: (شهودها جلودها)[41]، ويتناص هذا المثال مع قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فصّلت، آية ﴿21﴾، ومثله قولهم: (البياض نصّ الحسن)[42]، يشير المثل إلى أن بياض النساء هو أحسن ألوانهنّ، موافقًا لقوله تعالى في وصف الحور العين[43]: ﴿كأنّهنَّ بَيضٌ مكنون﴾ الصافات، آية ﴿49﴾، ومثله قولهم: (حتّى ملك الموت يموت)[44]، والمثل يتناص تناصًّا إشاريًّا مع قوله تعالى في وقوع قضاء الموت على كلّ مخلوقاته، وأنّه لا نجاة لحيٍّ منه: ﴿كلُّ نفسٍ ذائقة الموت﴾ آل عمران، آية ﴿185﴾.

ثالثًا: التناص الأسلوبي:

ويقصد به: "استلهام مجموعة الوسائل التي تُصاغ النصوص النثرية، أو الشعريّة بالاعتماد عليها"[45] ويتمثّل التناص الأسلوبي في الأمثال الشعبيّة الليبيّة في استيحاء الأسلوب القرآني، بحيث ينتهج المثل الأسلوب القرآني، ومن صوره:

المطابقة:

وهي الجمع بين الشيء وضدّه في كلام، أو بيت من الشعر[46]، ومن أمثلتها في الأمثال الشعبيّة الليبيّة قولهم: (الكَرْب وراه الرّخا)[47]، حيث تقع المطابقة بين الضدّين (الكرب) الذي هو الشدّة والضيق، و(الرخا) الذي هو اليسر والفرج، والمثل يتناص مع المطابقة في قوله تعالى: ﴿إنّ مع العسر يسرا﴾ الشرح، آية (6)، حيث المطابقة بين الضدّين (العسر واليسر)، ومثله قولهم: (الصالِح يخلِّف الطالِح)[48]، فالمثل يتناص مع قوله تعالى: ﴿ويخرج الميّت من الحي﴾ البروج، آية (81).

الإطناب:

وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[49]، ومن أمثلته في الأمثال الشعبيّة الليبيّة، قولهم:(الدّنيا ظلّ... إنْ مشيت وراه ما تطوله، وإن سيّبته تبّعك)[50]، والمثل يتناص في أسلوبه ومعناه مع قوله تعالى:﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس (24)، وقولهم: (كي قراية اليهود ثلثينها كذب)[51]، الذي يتناص أسلوبًا ومعنىً مع قوله تعالى: ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ آل عمران، آية (77).

ولمّا كانت إحدى الغايات البلاغية من الإطناب في القرآن الكريم هي الإيضاح بعد الإبهام، فإنّ المثل الشعبي الليبي سار على نفس الأسلوب القرآني في عرض المعنى في صورة مبهمة، ثم إيضاحه بعد ذلك مفصّلاً عبر الإطناب.

الاستعارة:

هي ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي[52]، ومن صورها في المثل الشعبي: (ضاقتْ علَيْ جاني.. واستاسعت علِيْ دوَّار)[53]، وهو مثل يضرب لبيان حال من ارتكب جناية، وما يصيبه من همٍّ وكرب، فشبّه الضيق النفسي بضيق الأرض على اتساعها، على سبيل الاستعارة، ويتناص المثل في معناه وأسلوبه مع وصف القرآن الكريم لحال الثلاثة الذين خُلّفوا عن غزوة تبوك، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ التوبة، آية(118)، ومثله: (جاك الموت يا تارك الصلاة)[54]، الذي يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد﴾ ق آية (19).

الإنشاء الطلبي:

وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب[55]، ومن أمثلته في الأمثال الشعبيّة الليبيّة قولهم: (لا تشْفَق يا شفّاق، يا ما عند الله من أرزاق)[56]، يضرب للحثّ على رجاء الفرج من الله، وعدم القنوط، يتناص مع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر، آية (53)، وقولهم:(يا ساحرة، لانك بالدنيا، ولانك بالاخرة)[57]، مثل يضرب لبيان خسران الساحر في الدنيا والآخرة، وهو يتناص تناصًّا تامًا مع قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ

مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة، آية (102).

وبعد هذا الاستعراض لمفهوم التناص النقدي في منشأه الغربي، وما قاربه من مصطلحات نقديّة عربيّة قديمة، وبعد تقديم نماذج مختارة لأنواع من التناص الذي احتوته الأمثال الشعبيّة الليبيّة مع القرآن الكريم- على سبيل التمثيل لا الحصر- خلص الباحثان إلى جملة من النتائج والتوصيات، لخصّاها في ما يأتي:

النتائج والتوصيات:

1. التناص مصطلح غربي وجِدَ في بيئةٍ تناقش النصوص بمنطق الجدل العقلي، بينما المصطلحات النقديّة العربيّة القديمة وجِدتْ في بيئة تحاكم النصوص محاكمة أخلاقيّة؛ لذلك فهي ليست من قبيل التناص، وإن كانت قريبة من بعض معانيه.
2. مرّ مصطلح التناص الغربي بمراحل من التطوّر، حتّى استوى على سوقه عند جوليا كريستيفا، ومن جاء بعدها من النقّاد الغربيّين.
3. الأمثال الشعبيّة خلاصة تجارب الأمّة، ومحصول خبراتها، وهي ضرب من التعبير عمّا تؤمن به، كما أنّها نتاجٌ جماعي تختزل ثقافة الأمة، وتعبّر عن أصالتها، وتراثها المعرفي والديني، وتحمل مضامين نفسيّة واجتماعيّة.
4. أحالنا استقراء الأمثال الشعبيّة الليبيّة إلى ثلاثة أنواع من التناص مع القرآن الكريم، وهي: (التناص الاقتباسي، والتناص الإشاري، والتناص الأسلوبي)، ويدخل تحت هذه الأنواع تقسيمات فرعيّة حسب ما بُيّن في متن البحث.

5. كشف تناص الأمثال الشعبيّة الليبيّة مع القرآن الكريم عن ثقافة دينيّة راسخة ذات تأثير قويٍّ شكّلت قناعات المجتمع الليبي، وظهرت في صورة أمثال تناقلتها الأجيال عن إيمان تام، وقناعة كاملة بصدقها، ما يثبت أصالة المجتمع الليبي، وعمق تديّنه.
6. إنّ دراسة الأمثال الشعبيّة الليبيّة، والتراث الليبي بصفة عامّة، من خلال تطبيق المفاهيم النقديّة الحديثة، تستحقُّ أن تولي لها المؤسسات العلميّة عناية خاصّة، من خلال تحريض الباحثين على العودة إلى هذا المعين الثرّ، والامتياح منه.

المراجع:

[1] العسكري، أبو هلال ، الحسن بن عبدالله بن سهل، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، الجزء الأوّل، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1408ه، 1988م، ص4.

[2] ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، مادة (نصص).

[3] ينظر: شادلي، عمر، مصطلح التناص في خطاب محمّد عزّام كتاب النصّ الغائب أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، 2011: 2012، ص73.

[4] ينظر: الشمالية، معتصم سالم، التناص في النقد العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة مؤته، الأردن 1999، ص21.

[5] ينظر: كاك، عبدالفتاح داود، التناص دراسة نقديّة في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقديّة القديمة، دراسة وصفية تحليلية، متاح على الرابط: http://site.iugaza.edu.ps، تاريخ الدخول 4 مارس 2023.

[6] ينظر: مقران، مراد، التناص في الأمثال الشعبيّة الجزائريّة منطقة الحضنة أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013، ص52.

[7] ينظر: جراهام، ألان، نظريّة التناص، ترجمة، باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، الطبعة الأولى، 2011، ص28.

[8] ينظر: البقاعي، محمد خير، دراسات في النصّ والتناصيّة، مركز الإنماء الحضاري حلب، الطبعة الأولى، 1998، ص61.

[9] الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التشريحيّة قراءة نقديّة لنموذج معاصر، الهيئة المصريّة للكتاب، الطبعة الرابعة، 1998، ص226.

[10] ينظر: جراهام ألان، نظريّة التناص، ص55.

[11] ينظر: نفسه، ص89.

[12] نفسه، ص99.

[13] ينظر: مقران، مراد، التناص في الأمثال الشعبيّة الجزائريّة منطقة الحضنة أنموذجًا، ص56.

[14] يقطين، سعيد، انفتاح النصّ الروائي (النصّ والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2001، ص96 : 97.

[15] بوترعة الطيّب، التناص في الشعر الجزائري المعاصر قراءة في شعر مصطفى الغماري، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2010 : 2011، ص17.

* جعل جينيت لكل مفهوم تعريف محدّد يمكن الرجوع إلى المصدر السابق لبيان تلك التعريفات ص 17 : 19.

[16] ينظر: مفتاح، محمّد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة 1992، ص120: 121.

[17] ينظر: عزّام، محمّد، النصّ الغائب تجليّات التناص في الشعر العربي، دراسة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2001، ص12.

[18] فاعور، علي، شرح وتحقيق ديوان كعب بن زهير ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1417ه، 1997، ص26.

[19] المصطاوي، عبدالرحمن، ديوان امرئ القيس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1425ه، 2004، ص151.

[20] ابن منظور، لسان العرب، مادة: (مثل).

[21] ناصيف، أميل، أروع ما قيل من الأمثال، دار الجيل، بيروت، 1994، ص7.

[22] بلبالي، عبد الله، والعيد، ذيبة، الوظائف الدلاليّة في الأمثال الشعبيّة لعبدالحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير، الجامعة الأفريقيّة، العقيد أحمد، درايةـ أدرار، الجزائر، 2015 : 2016، ص17 : 18.

[23] ينظر: نفسه، ص23 : 25.

[24] ينظر: غنية، عابي الدلالات الاجتماعيّة للأمثال الشعبيّة منطقة أولاد عدي لقبالة أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2015 : 2016، ص20.

[25] ينظر: نفسه بتصرّف، ص16.

[26] ينظر: أحمادي، زبير، وحريز بكّار عيسى، الأمثال والحكم في وادي سوف دراسة سوسيولسانية، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد لخضر بالوادي، الجزائر، 2019 : 2020، ص13 : 12.

[27] ينظر: غنية، عابي، الدلالات الاجتماعيّة للأمثال الشعبيّة منطقة أولاد عدي لقبالة أنموذجا، ص25.

[28] ينظر: الزبيدي، عبد الحكيم عبد الله، التناص في الأمثال الشعبيّة الإمارتيّة، مجلة لانغس، الثقافات والمجتمعات، المجلد 5، العدد 2، كانون الأول/ ديسمبر 2019، ص233.

[29] ينظر: بلبالي، عبدالله، والعيد، ذيبة، الوظائف الدلاليّة في الأمثال الشعبيّة لعبدالحميد بن هدوقة، ص36.

[30] ينظر: نفسه.

[31] ناهم، أحمد، التناص في شعر الروّاد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى 2004، ص 99 : 100.

[32] هجرس، عبدالكريم، التناص الاقتباسي ودوره في إنتاج الدلالة في شعر أبي العتاهية، جامعة باتنة، مجلة الآداب واللغات، العدد السادس، 2017، ص120.

[33] عقيلة، أحمد يوسف ، قاموس الأمثال الشعبيّة، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 2011م، رقم المثال: (7172)، ص383.

[34] نفسه، رقم المثال: (7196)، ص383.

[35] نفسه، رقم المثال: (7198)، ص 284.

[36] حسيني، عبدالله، وأشرف، إسماعيل، أشكال التناص في مقامات ناصيف اليازجي (الاقتباسي – الإشاري - الامتصاصي) أنموذجًا، مجلة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلد العشرون، العدد الثاني، 2017، ص43.

[37] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (6299)، ص339.

[38] نفسه، رقم المثال: (5203)، ص291.

[39] حلبي، أحمد طعمه، أشكال التناص الشعري (شعر البياتي أنموذجا)، مجلة الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد مئتان وثلاثون، 2007م، ص15.

[40] حسيني، عبد الله، وأشرف، إسماعيل، أشكال التناص في مقامات ناصيف اليازجي (الاقتباسي – الإشاري - الامتصاصي)، أنموذجًا، ص49..

[41] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (3349)، ص195.

[42] نفسه، رقم المثال: (1183)، ص83.

[43] ينظر: القرطبي، أبوعبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الخامس، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1384هـ، 1965، ص80.

[44] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (1669)، ص111.

[45] حلبي، أحمد طعمة، التناص الأسلوبي (شعر عبدالوهاب البياتي نموذجا)، مجلة البيان، رابطة الأدباء في الكويت، العدد أربع مائة وخمسة وسبعون، فبراير، 2010، ص36.

[46] عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار النهضة العربيّة، بيروت، ص77.

[47] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (5238)، ص292.

[48] نفسه، رقم المثال: (3440)، ص202.

[49] عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار الأفاق العربيّة، القاهرة، 2006، ص144.

[50] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (2450)، ص147.

[51] نفسه، رقم المثل: (5707)، ص 310.

[52] عتيق، عبد العزيز، علم البيان، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1985، ص175.

[53] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (3562)، ص209.

[54] الشلطامي، رحيل عمر، والقلال، ربيعة عثمان، الأمثال الشعبية الليبية، رقم المثال: (40)، ص115.

[55] عتيق، عبدالعزيز، علم المعاني، ص54.

[56] عقيلة، أحمد يوسف، قاموس الأمثال الشعبيّة، رقم المثال: (5762)، ص315، الشلطامي، رحيل عمر، والقلال، ربيعة عثمان، الأمثال الشعبية الليبية، رقم المثال: (22)، ص292.

[57] الشلطامي، رحيل عمر، والقلال، ربيعة عثمان، الأمثال الشعبية الليبية، رقم المثال: (49)، ص365.